المحاضرة السابعة السياق ودوره في عملية الفهم

أولا-مفهوم السياق:

اهتم الدارسون بالسياق منذ القديم فنجد علماء البلاغة قد أولوا له اهتماما بالغا وما مقولة مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلا دليلا على اهتمامهم بهذا الأمر، كما اهتم المفسرون به فنجد على سبيل المثال: الزركشي في البحر المحيط يعنون مبحثا في هذا الباب بـ "دلالة السياق معقبا أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئا أنكره"[1] والشافعي في كتابه الرسالة قد عنون مبحثا بـ: الصنف الذي يبين سياقه معناه.[2]

ويعرف السياق في الدراسات الحديثة بأنه: "ما انتظم من القرائن الدالة على المقصود من الخطاب سواء كانت القرائن مقالية أو حالية"[3]، وهذا السياق ليس ركنا ثابتا بل يمتاز بالتغير فهو ليس جهازا يمكن للملاحظ الخارجي الإحاطة به، يجب النظر إليه عبر التصورات المتباينة في كثير من الأحيان التي يتصورها المشاركون"[4].

ثانيا-أقسام السياق:

ينقسم السياق إلى أقسام هي كالتالي:

1-السياق اللغوي:

---

[1] الزركشي، البحر المحيط، وزارة الأوقاف، قطر، 1992، ج06، ص52.

[2] الشافعي، الرسالة، دار الكتب العلمية، لبنان، دت، ج01، ص62.

[3] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000، ج01، ص221.

[4] دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2008م، ص 29.

إن السياق اللغوي يعمل على تغيير دلالة الكلمة تبعا لكل تغيير يمس التركيب اللغوي[5] فهو المحيط الدلالي الذي يحدد مدلول العناصر اللسانية فيختلف المدلول باختلاف السياقات الواردة فيها،[6] أي يتغير مدلول اللفظ من تركيب إلى آخر. ومثال ذلك نلحظه من خلال لفظ "اليد" الواردة في الأمثلة التالية:

- أعطيته مالا عن ظهر يد: أي تفضلا.
- هم يد على من سواهم: أي أمرهم واحد.
- يد الفأس: مقبضها.
- يد الدهر: زمانه.
- يد الريح: سلطانها.
- يد الطائر: جناحه.
- خلع يده من الطاعة: نزعها أي تمرد.
- بايعته يدا بيد: أي نقدا.
- طويل اليد: كريم جواد.
- سقط في يده: ندم
- حتى يعطوا الجزية عن يد: عن ذل. واعتراف للمسلمين بعلو أيديهم.
- إن بين يدي الساعة أهوالا: أي قدامها.
- يد الرجل: جماعة قومه وأنصاره.[7]

---

[5] عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص94.

[6] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، مبحث صوتي، مبحث تركيبي، دلالي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، ط02، 2013، ص156.

[7] أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص70.

2-السياق العاطفي:

إن هذا السياق يعمل على تحديد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا، فلفظ يكره غير لفظ يبغض رغم اشتراكهما في أصل المعنى.[8] ولفظ اغتال ليست هي لفظ قتل، حيث يفهم من أن لفظ قتل قد يكون بوحشية وآلة القتل تختلف عن تلك التي تكون في الاغتيال.[9]

ومثال قول أحدهم:

إني لا أكره، بل إنني أبغضه، أبغضه وبشدة، فإنك تلاحظ أن الكره أقل درجة من البغض، وهذا التأكيد في آخر الجملة يدل على الحالة العاطفية التي سادت الموقف الذي قيلت فيه هذه العبارة، ويدل كذلك على أن الحالة النفسية مضطربة، والانفعال كبير جدا.

3-سياق الموقف:

هذا السياق يهتم "بالموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميت العاطس: يرحمك الله، البدء بالفعل، وفي مقام الترحم بعد الموت الله يرحمه البدء بالاسم، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير."[10] فالكلمة تتغير دلالتها بتغير المقام الذي وردت فيه، ففي الموقف الأول كان الغرض طلب الرحمة لحي بعد فعل العطاس فجاء الطلب من خلال الابتداء بالفعل، واقترنت الرحمة هنا بالرحمة الدنيوية، ولما كان الغرض في الحالة الثانية طلب الرحمة للميت تم الابتداء فيه بالاسم.

---

[8] المرجع نفسه، ص70، 71.

[9] عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص94.

[10] أحمد عمر مختار: علم الدلالة، ص71.

4-السياق الثقافي:

يتم تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن ترد فيه الكلمة، فمثلا كلمة "عقيلته" تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة زوجته مثلا، وكلمة "جذر" لها معنى عند المزارع، ومعنى ثان عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات.[11] وحتى يكون هناك اتفاق بين المتكلمين فإن علماء اللغة يشيرون إلى ضرورة وجود المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة لكي يتم التواصل والإبلاغ، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلون كل نظام لغوي بسمة ثقافية معينة.[12]

ثالثا-مميزات النظرية السياقية:

تتميز النظرية السياقية بعدد من المميزات أهمها:[13]

1. تجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي.
2. إن هذه النظرية لم تخرج في تحليلها اللغوي عن دائرة اللغة، وبهذا نجت من النقد الذي وُجِّهَ إلى النظريات السابقة (الإشارية، التصورية، السلوكية).
3. أسهمت النظرية في الكشف عن الخلاف بين المترادفات.

---

[11] المرجع نفسه، ص71.

[12] عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص95.

[13] أحمد عمر مختار: علم الدلالة، ص73-78.